فلسطين في باريس

بقلم عدنان ابراهيم

عندما فكرت بالكتابة الى « الآداب » ، فكرت بالكتابة عن الادب والحياة الادبية في باريس ، فللأدب في تلك المدينة أبعاد وألوان ، تجعل الحديث عنه ممتعا ومفيدا ومتجددا تجدد الكلمات التي تتطور مع الحياة وغالبا ما تسبق الحياة ..

وأحببت أن أتحدث عن الحروف الجديدة ، بل شرعت فعلا بالكتابة عن كتاب (برك) الجديد والقيم ، الذي صدر عن دار غاليمار تحت عنوان : (مصر ، من الامبريالية الى الثورة) وسرعان ما ادركت ضيق الرسالة عن الاحاطة بكل ما تشمله دراسة البروفسور برك من جوانب جديدة وأضواء تساعدنا اليوم على فهم الجذور العميقة لثورة ١٩٥٢ ، والدوافع البعيدة التي بدأت تقوى منذ بدأت النهضة في وادي النيل ، واتخذت شكل العداء للاستعمار والامبريالية ، والحث على الاحياء الوطني والانطلاق بالانسان العربي صوب المستقبل المشرق والمستقل والمسؤول .

يرفض (برك) ، كعالم اجتماع ، الاكتفاء بالتأريخ الحوادثي ـ تاريخ الوقائع ـ بل يتوغل عبر الاحداث ، هادما جدران الماضي والحاضر والمستقبل وباحثا عن « المحرك » الجوهري والدوافع الاساسية للتغيير والتحرر والثورة ، كما ان برك المؤرخ ، يرفض البقاء ضمن حدود الدراسة الاجتماعية ، المجردة والعقلانية ، حيث نحترم مهارة الذهن المحلل ، ونضيق ذرعا بالدراسة المدرسية ، بل نراه يحاكي أشخاص المرحلة التاريخية ، العاديين والابطال ، انه يحاكي أحمد عرابي وسعد زغلول وجمال عبد الناصر ، ويربط بين ثورات ١٨٨١ ـ ١٩١٩ ، وبين ثورة ١٩٥٢ التي بدأت مرحلة التغيير الواعي والتطور الهادف والتي حملت بذور التغييرات الجديدة والجذرية عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ .. والتي نستطيع دعوتها بالثورات ضمن الثورة ..

لقد استطاع (برك) النفاذ الى صميم المجتمع العربي في مصر وصميم مشاكله ، وذلك نتيجة السنوات الطويلة التي عاشها مع ذلك المجتمع وفي أتون الاحداث ، ونتيجة الجهود الكبيرة ، والبحث العلمي الدقيق والصعب ، لانه ليس من السهل دراسة مرحلة تاريخية ما زلنا نحياها وما زال أبطالها على مسرح أرض الاحداث وأرض معركة الوجود ..

لكننا نحس شيئا آخر يشع خلال كل صفحات الكتاب ، شيئا آخر ، غير جهد الباحث ، وغير برودة ورصانة العالم ، اننا نحس حرارة قلب الصديق .

لقد صدق المستشرق برك ، أو المستعرب كما يحب أن ندعوه ، عندما ردد حديثا : « بأنه يصعب على المرء دراسة حضارة شعب ، بدون أن يحب ذلك الشعب » ..

لقد عرفنا (برك) من خلال كتبه ومن خلال دراساته ، عالما ومستعربا ، خرج بالاستشراق من أروقته الضيقة والمقنعة ، الى مجال الابحاث الجدية والحيوية والواضحة ، ونعرفه اليوم أكثر من قبل ، نعرفه من خلال مواقفه المشرفة والجريئة ، ومن خلال دفاعه المخلص عن القضية الفلسطينية ، أعدل القضايا الانسانية وأكثر القضايا الانسانية غموضا في الغرب وفي فرنسا بالذات ، لماذا ؟ نقطة هامة من واجبنا الوقوف أمامها ، ومن واجب المسؤولين عن الاعلام العربي تدارسها بشكل جدي ، والابتعاد عن الاجوبة السهلة والمريحة ، لماذا كسبت الصهيونية جولتها وربحت الرأي العام في الدول الرأسمالية ، في الوقت الذي يقف فيه ذات الرأي العام مع القضية الفيتنامية ، ويتحول اليوم الى قوة نضالية ومقاتلة تساند شعب الفيتنام وتسترذل الولايات المتحدة ؟

هل حصل التغيير المرجو في موقف الرأي العام الاوروبي ـ الفرنسي خاصة ـ من قضيتنا الفلسطينية ؟

أم اننا نحلم عندما نتكلم عن كسب الرأي العام العالمي ؟

أسئلة كثيرة تحتاج الى دراسات عديدة ، لكننا نستطيع القول ، بدون مبالغة ، وبعيدا عن أحلام اليقظة ، بأن تغييرا ملحوظا طرأ على الرأي العام ، ومن الطبيعي أن ينطلق الدفاع عن القضية الفلسطينية من الذين يعرفونها ، من الطبيعي أن يبدأ البروفسور جاك برك وأن يبدأ مكسيم رودنسون بالكلام ، وأن يقبل بيير كوت ، الوزير السابق .. ثم تتوسع الحلقة ، وتتعدد الجمعيات المناصرة للقضية ، ويتحول بعضها الى جمعيات تناضل من أجل التعريف بأبعاد المأساة وابعاد الظلم الذي لحق بالعرب .

أن يكون هناك تفاوت في حدة المواقف من القضية، أن يكون هناك بعض (الضبابية) وبعض (التحفظ) وبعض المتناقضات ، هذا طبيعي ، ولكن ما نرفضه هو تخاذل الذين أردناهم منارات للفكر الملتزم والثوري والشريف ، أين هم ، أين أصواتهم ؟

هل تكلم سارتر ، خرج من صمته الطويل تجاه القضية العادلة ، صمته بعد الكلام المشهور ، الكلام المهتز وغير المشرف ، أم بعده يبحث في قلب المحيطات عن محارات الحقيقة وفي قلب التاريخ أو ما قبل التاريخ عن النكبات التي لحقت (بالشعب اليهودي المسكين) .. أم تراه يحكي مع سكرتيره و (حارسه) كلود لانزمان عن أعمال الصهاينة (المحرجة) وانه في قرارة نفسه وعندما يتكلم مع المثقفين العرب ، ويعتبر قتل العرب (حادثة) تمس (وجود) الانسان ، وانه يأسف كل الاسف لسوء فهم مواقفه السابقة وأقواله العميقة المعاني والبعيدة المرامي ...

نحن نسأل سارتر ، بكل صراحة وبكل بساطة ، وبدون تعقيد أو (تهديد بالانتحار) .. أين المواقف الجديدة والواضحة .. التي تمحو المواقف القديمة ، والغامضة وغير المشرفة ؟

احاديث خاصة ، قلق نفسي أو نفساني أو وجداني.

اننا لا نستطيع ان نبني أحكامنا على الاحاديث الخاصة ، والآلام الذاتية ، بالرغم من احترامنا (للقلق) الذي يعانيه سارتر ..

انه ، سارتر ، يدير مجلة جيدة وراقية ومقروءة ، وهو يجيد الخطابة ويجيد الكتابة ، وهو أعلم منا بوسائل الاعلام وأقدر منا على نشر وتعريف الناس بما يريد نشره وما يرغب بالتعريف به ، وما دام لا يقف ولا ينشر ولا يعرّف بالقضية الفلسطينية ، علنا وبوضوح ، فمعنى ذلك عدم ارادته وعدم رغبته بالدفاع عن قضية الذين يناضلون من أجل الحفاظ على وجودهم ومن أجل مصيرهم .

أسهبت بالكلام عن سارتر وعن موقف سارتر الغامض من قضيتنا ... لاني لا أجهل مكانة فيلسوف (الوجود والعدم) ولا قيمة كاتب (دروب الحرية) ولاننا ما زلنا نأمل ، ومن حقنا الامل بأن يتحرر سارتر من حارسه ، وعندنا مثل يقول : « سرق البستان حارسه » . ما زلنا نأمل بأن يستفيق سارتر وان يقف من القضية الفلسطينية موقفه من قضية شعب الفيتنام ...

لكن سارتر ليس وحده في موقفه الغامض . ان عددا غير قليل من المثقفين الفرنسيين ما زالوا يقفون موقف الحيرة من القضية الفلسطينية ، ومنهم الذي ناضل من أجل الثورة الجزائرية ومنهم الذي ينتصر لقضية شعب الفيتنام ، لماذا ؟

لان بعضهم ما زال يخلط بين اليهودية والصهيونية، ولا يكلف نفسه عناء التمييز بين المشكلة اليهودية التي ولدت ونمت في أوروبا ونتيجة التزمت الاوروبي وبين الصهيونية التي تستعمر فلسطين ..

واستطيع القول بدون مبالغة ، ان (دومیناك) رئيس تحرير مجلة الفكر (اسبري) يمثل هؤلاء ، لكن شتان بين تحمسه بالامس للدولة الصهيونية وبين المرارة أو الحياء الذي نلحظه في كلماته ... انه يؤيد اليوم دفاع الفلسطينيين عن وجودهم ، ولا يرى امكانية استمرار الصهيونية (من شروط السلام ، زوال الصهيونية) قال لي بالامس ولا أدري جوابه بعد أسابيع أو بعد اشهر عندما تزداد جرائم الصهيونية ؟

لقد نشرت المجلة في عددها الاخير « بيان الخامس من حزيران » لعلي أحمد سعيد (أدونيس) ، ووصف رئيس التحرير هذا البيان بأنه (صرخة غضب ووعي) ..

وأراني نسيت كتاب (جمال عبد الناصر) الجريء والحيوي والصادق ، لقد أراد مؤلفه (جاك دومال) وارادت دار النشر (سيفرز) أن يكون الكتاب جوابا على حملات الكذب والتضليل ، وارادوه سهما يفقأ العيون التي ترفض الرؤية ... وهناك موقف (داستييه دو لا فيجري) الجريء والشريف ، وحديثه عن اللاجئين وعن العرب وعن عبد الناصر ، حديثه على التلفزيون الفرنسي ، وفي مجلته (الحادثة) حيث نشر حواره مع الرئيس ...

وهناك موقف الحزب الشيوعي الفرنسي وموقف المثقفين الشيوعيين ، وهو موقف واضح منذ البداية ، وشريف رغم اعتداله ، ومحوري بالقياس الى ثورية اليسار الاوروبي . لقد ساهمت صحف ومجلات الحزب بفضح الادعاءات الصهيونية والتعريف بالقضية الفلسطينية ، وازداد الموقف وضوحا وجذرية والتزاما بعد النكسة ، بعدما برهنت الاحداث على صدق المخاوف العربية ، وكشفت آخر ستار عن طبيعة الصهيونية العرقية والاستعمارية والتوسعية ... وربما كانت مقالة (ايف مورو) في (الاومانيتييه) بعد العدوان الاخير على الاردن ، بداية موقف جديد . (من النيل الى الفرات) كان عنوان المقال ، وتساءل الكاتب عما اذا كانت اسرائيل تنوي احتلال المناطق الواقعة ما بين النهرين ، لضمان سلامتها ؟..

نعم يا صديقنا مورو ، (ولا نهاية للاعتداءات الصهيونية الا بنهاية اسرائيل) ...

كان هذا موضوع المهرجانين اللذين أقيما لنصرة فلسطين .. وتحدث خلالهما العديد من رجال الفكر والسياسة : برك ، بول غوث ، رودنسون ، دانييل غيرين والبروفسور فنسان مونتييه الذي حكى بصراحة عن الصهيونية وعن تأثير الصهيونية واليهودية على وسائل الاقتصاد والسياسة والاعلام ... (نحن نسمع الاحاديث ونقرأ الكتب عن الاضطهاد الذي عاناه اليهود ، لان روتشيلد يهودي) .

ان صمت الرأي العام عن القضية الفلسطينية لم يكن نتيجة لضعف الاعلام العربي فحسب .. بل نتيجة لسيطرة (الرأسمال الصهيوني) على الاعلام والوسائل

الاعلامية .. لكن لهذه السيطرة حدودا بدات تتلاشى امام اخبار الفداء واخبار الذين رفضوا الاستسلام ورفضوا الخنوع وبداوا معارك التحرير الحقيقية ، معارك الشعب !

لقد ذهبت بالامس ، مع الآلاف ، الى مهرجان المثقفين الفرنسيين ضد حرب فيتنام ، وهالني المشهد . احسست بشيء يشبه الغيرة ، ولم لا ؟ نحن والفيتنام نناضل من أجل قضية عادلة ، ذات القضية ، ذات الاهداف : الحرية ، والسيادة الوطنية ..

وسألت أول فرنسي يساري لقيته :

ـ لماذا تتظاهرون من اجل شعب فيتنام البطل وتنسون شعب فلسطين ؟

فأجاب :

ـ ان الثوري الحقيقي لا ينسى فلسطين ولا نضال العرب ضد الامبريالية ، انها ذات المعركة في فيتنام وفي فلسطين .. ولكن دعنا نحكي بصراحة وصدق .. لم ينتظر شعب فيتنام تأييدنا له ليبدأ نضاله وحربه الشعبية ضد المعتدين ، لقد بدأ ثم لبينا صوته ، لحقنا به .. كل الدنيا تعرف اليوم وتردد كل يوم اسم فيتنام ، وكل الدنيا تجل وتحترم بطولة الشعب الفيتنامي .. شعب ديان بيان فو ، وهانوي ، وخي سانه.

لقد بدأ الشعب الفلسطيني معركة التحرير ، بدأ عهد البطولة .

وبدأ الرأي العام يردد اسم فلسطين ويجل بطولة الفدائيين .

نعم ، لقد بدأ الرأي العام ، بدأ الناس في باريس وفي كل مكان ، يتناقلون أخبار الشعب الذي يخوض معارك الكرامة !

وماذا أيضا ؟

قلت لكم اني عندما فكرت بالكتابة « للاداب » ، فكرت بالكتابة عن الادب والحياة الادبية في فرنسا ، عن الشاعر كلوديل ومسرحياته ومعرض المكتبة الوطنية عنه، وعن مونترلان ، الروائي ، وقصته الجديدة « وردة الرمال » .. وفكرت بالكتابة عن قصة محمد ديب « رقصة الملك » ، وعن أشياء أخرى ، كثيرة وجميلة ، لكني سرعان ما سمعت أصوات الاحبة ، صوت الصديق احمد خليفة ، وهو في زنزانة الصهاينة ، وصوت الشاعر الاسير ، والطالب الفدائي ، والذين يحلمون بالفداء ، انهم يقرأون « الاداب » . يريدون معرفة ما يقوله عنهم الناس هنا ، عن القضية ، كلمات ، لا تنتظروا الكلمات ، افعلوا ، أنتم نجمة الحياة الجديدة .

باريس

عدنان ابراهيم

كاسترو يتكلم ..

ترجمة فكتور سحاب

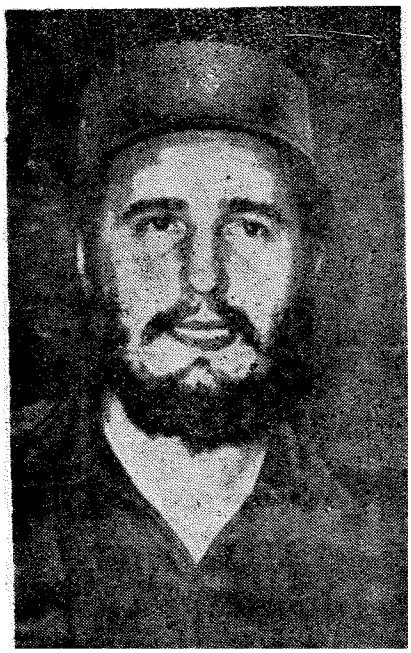

فيديل كاسترو ، زعيم كوبا ، ومحرك الثورات في اميركا اللاتينية كلها ، والمحرض الاول على حروب العصابات ، والعدو اللدود والخصم رقم ١ للولايات المتحدة الاميركية ، يتكلم ...

انها آخر الخطب التي ألقاها الزعيم الكوبي ، في مناسبات مختلفة ، سواء أمام مندوبي الدول الذين حضروا مؤتمرات سياسية للقارات الثلاث في لاهافانا ـ وفيها أهم خطاب لكاسترو بعنوان « الطريق الاساسية » ـ أو بين جماهير الشعب الكوبي التي تتوافد بمئات الالوف للاستماع الى زعيمها وهو يفضح سياسة الاستعمار العالمي عامة والاميركي خاصة .

وبين هذه الخطب الخطاب الاخير الذي رثى فيه كاسترو رفيقه في الثورة والنضال : ارنستو غيفارا ...

كتاب رائع وهام لا بد للمثقف العربي من قراءته .

صدر حديثا **الثمن ٣٥٠ ق . ل**